مجلة جامعة الملك سعود، م ٦، الآداب (١)، ص ص ١٩٥-٢١٦ (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

مسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل

خليل إبراهيم المعيقل
أستاذ مساعد، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(وَرَدَ بتاريخ ٢/٥/١٤١٢هـ وقُبِلَ للنشر بتاريخ ٢١/٦/١٤١٣هـ)

ملخص البحث. تعالج هذه الدراسة أحد المساجد الأثرية المهمة في المملكة العربية السعودية، مسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل. تنبع أهمية هذا المسجد من عدة جوانب؛ أولاً، نمط تخطيط المسجد الذي يذكّرنا بالمساجد الإسلامية الأولى؛ ثانيًا، مئذنة المسجد المربعة والتي تمثل طرازًا مميزًا من المآذن المتأثرة بالمآذن السورية المربعة، إضافة إلى الأهمية التاريخية للمسجد والذي ارتبط بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. هذه العوامل الثلاثة جعلت دراسة هذا الأثر التاريخي مهمة في تتبع تطور عمارة المسجد في الجزيرة العربية خلال الفترات الإسلامية المبكرة.

يقع مسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل في منطقة الجوف الواقعة في شمال المملكة العربية السعودية. يتمركز المسجد في وسط أقدم أحياء دومة الجندل، إلى الشمال مباشرة من قلعة مارد. يحتوي هذا الجزء من البلدة على أقدم الشواهد والأدلة الأثرية، وتأكد هذا من خلال الحفريات التي تمت في الموقع.[1] يعد هذا المسجد أهم الآثار الإسلامية القائمة في منطقة

(١) R.M.Adams, P.J.Parr, M Ibrahim and A.S.al-Mughannum, "Preliminary Report on the First Phase of Comprehensive Archaeological Survey Program," *Atlal*, 1 (1977) 21-40; K.I. Al-Muaikel, "A Critical Study of the Archaeology of the Jawf Region of Saudi Arabia with Additional Material on Its History and Early Arabic Epigraphy," unpublished Ph.D. Dissertation, University of Durham, 1988, pp 87-99; =

الجـوف لعـدة أسبـاب، أهمها ارتباط المسجد بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه،[٢] ثم أسلوب بناء المسجد الذي يذكرنا بالمساجد الإسلامية المبكرة حيث إن الوضع المعماري للمسجد قد حافظ على شكله خلال الفترات التاريخية المختلفة.

خضعت دومة الجندل للسلطة الإسلامية بعد فتحها في السنة الثانية عشرة (هـ) على يدي خالد بن الوليد،[٣] لكنها تعرضت قبل ذلك لثلاث غزوات قاد أولها الرسول ﷺ في السنة الخامسة للهجرة.[٤] أسفرت هذه الغزوات المتتالية عن دخول أعداد كبيرة من أهالي المنطقة في الإسلام خلال مرحلة مبكرة، ولا شك أن دخول هذه الأعداد في الإسلام يحتاج إلى مكان لأداء الشعائر الدينية. ولعله من الصعب إثبات وجود مسجد في دومة الجندل قبل خلافة عمر بن الخطاب أو أن المسلمين قد استخدموا أحد المباني القديمة لأداء الصلاة.

= خالـد عبـدالعـزيز الـدايل، «التقـرير الحقـلي عن حفريات دومة الجندل في موسم ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م،» *أطـلال*، ع١٠ (١٤٠٦هـ)، ص ص٧٩-٩٧.

(٢) تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وقتل في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين. كانت خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام؛ انظر: أبو الفداء الحافظ ابن كثير، *البداية والنهاية*، ط٥ (بيروت: مكتبة المعارف، ١٤٠٧هـ)، جـ٧، ص ص١٨، ١٣٨.

(٣) الإمام أبو الحسن البلاذري، فتوح *البلدان* (بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨٨م)، ص ص٦٩-٧٠؛ ابن كثير: *البداية والنهاية*، جـ٦، ص ص٣٥٠، ٣٥١؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)*، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، جـ٢، ص ص٣٢٥، ٣٢٦.

(٤) بدأ اهتمام الرسول ﷺ بدومة الجندل في مرحلة مبكرة، فقد غزاها في السنة الخامسة؛ انظر: ابن هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، جـ٢، ص٢٢٤؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ٣، ص٩٢؛ الطبري، *تاريخ*، جـ٢، ص٩٠. ثم بعث في السنة السادسة للهجرة عبدالرحمن بن عوف على رأس سرية لأهـالي دومة الجندل لدعوتهم للإسلام؛ انظر: أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي، *كتاب المغازي*، تحقيق مارسدن جونز (لندن: د.ن.، ١٩٦٦م)، جـ٢، ص ص٥٦٠، ٥٦١؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ٥، ص١٧٩؛ الطبري، *تاريخ*، جـ٢، ص١٢٦. في شهر رجب من السنة السابعة للهجرة، وأثناء عودة رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، وجه خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل. تمكن خالد بن الوليد من أسر أكيدر وقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فحقن دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله ورجع إلى بلدته؛ انظر: ابن هشام، *السيرة النبوية*، جـ٢، ص ص١٦٩-١٧٠؛ البلاذري، فتوح *البلدان*، ص ص٦٨، ٦٩؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ٥، ص١٧؛ الواقدي، *كتـاب المغازي*، جـ٣ ص ص١٠٢٥-١٠٢٨.

ينسب المسجد الذي نحن بصدد دراسته إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. هذه النسبة متداولة بين السكان المحليين، وأول من أشار إلى هذه النسبة الرحالة الفنلندي جورج فالين G.A.Wallin ، الذي زار دومة الجندل في عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م.(٥) من خلال تتبعنا للمصادر العربية المبكرة لم نستطع تأكيد هذه النسبة، أو الوصول إلى إشارة تاريخية حول بناء مسجد في هذا الجزء من الجزيرة العربية من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. زار الخليفة الثاني رضي الله عنه خلال خلافته بلاد الشام أربع مرات، وكانت أول زياراته خلال فتح بيت المقدس في السنة السادسة عشرة للهجرة.(٦) لقد حددت المصادر التاريخية التي رصدت هذه الزيارات(٧) أحد الطرق التي سلكها عمر بن الخطاب في طريق ذهابه وهو طريق أيلة، لكنها لم تحدد طريق العودة الذي سلكه عمر رضي الله عنه. ربما أن الخليفة اتخذ طريق وادي السرحان في إحدى رحلات العودة من بلاد الشام ومن ثم ربما توقف بدومة الجندل. إن دخول الإسلام لدومة الجندل في مرحلة مبكرة يؤكد ضرورة وجود مسجد فيها ربما قبل خلافة عمر رضي الله عنه، لكن ما علاقة المسجد الأول بمسجد عمر القائم؟ من المحتمل أن المسجد الحالي يقوم على أساسات المسجد الأول، أو ربما على الأرض نفسها التي كان يقوم عليها المسجد الأول، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار موقع المسجد الحالي المتميز والذي يتوسط أقدم أحياء دومة الجندل. كما يحيط به السوق القديم من الجنوب الغربي وقلعة مارد من الجنوب.

الدراسات السابقة

تعتبر كتابات الرحالة الغربيين الذين زاروا شمال الجزيرة العربية، خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، من أهم المصادر الأولية التي تطرقت إلى هذا المسجد.»(٨) ويعتبر الرحالة الفلندي جورج فالين أول من زار دومة الجندل من الغربيين،

(٥) G.A. Wallin, *Travels in Arabia (1845 and 1848)* (Cambridge: Falcon- Oleander, 1979), pp. 27,28.

(٦) ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ٧، ص٥٧؛ أبو الحسن علي عبدالواحد الشيباني، ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، ط٥ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، جـ٢، ص٣٤٨.

(٧) ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ٧، ص٥٧؛ ابن الأثير، *الكامل*، جـ٢، ص ص٣٤٨، ٣٩٣؛ الطبري، *تاريخ*، جـ٢، ص ص٤٤٨، ٤٨٥-٤٨٧، ٤٨٩.

(٨) أهم الرحالة الغربيين الذين زاروا منطقة الجوف خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي هم: جورج أوغست فالين George Augustus Wallin عامي ١٨٤٥، ١٨٤٨م؛ وليم =

وأول من كتب عن مسجد عمر حيث ذكر «مبنى قديم ربما كان كنيسة، حوله الخليفة عمر بن الخطاب إلى مسجد.»[٩] كذلك يقترح فالين أن مئذنة المسجد كانت عبارة عن مدخل يعلوه برج portal كان بمثابة بوابة للبلدة أو الحي، وبعد دخول الإسلام بني برج صغير فوق البوابة لتشكل مئذنة.[١٠] إن حجم الممر الذي يتخلل الجزء الأسفل من بدن المئذنة، والذي لا يتعدى عرضه المتر الواحد وارتفاعه المترين، لا يوحي بأن هذا الممر هو المدخل الرئيس للحي الملاصق للمسجد، بالإضافة إلى أن عقد المدخل الرئيس للحي مازال قائمًا إلى الجنوب الغربي من المئذنة بمسافة ٥٠م.

في عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م زارت الليدي آن بلنت Lady Anne Blunt دومة الجندل في طريقها إلى حائل، لكنها لم تشر في كتابها إلى مسجد عمر ومئذنته؛ إلى جانب ذلك ذكرت ما نصه «نودي لصلاة الظهر من فوق سقف مسجد قريب لأنه لا يوجد مئذنة في الجوف.»[١١] من خلال هذه الفقرة يتضح أن ليدي بلنت لم تتح لها الفرصة لرؤية كل أجزاء دومة الجندل، ويتضح ذلك أكثر من خلال المعلومات غير الدقيقة عن أحياء البلدة وتخطيطها، بالإضافة إلى إشارتها إلى عدم وجود مئذنة في دومة الجندل، مع أن فالين قدم وصفًا لهذه المئذنة في فترة سبقت زيارتها بأكثر من ثلاثين عاما.[١٢] الرحالة المتأخرون الذين زاروا الجوف ولم يضيفوا شيئًا يذكر للكتابات السابقة، بل إن معظمهم لم يتطرق للمسجد. ونيت وريد Winnett and Reed أشارا إلى المسجد إشارة مقتضبة.[١٣] إن أهم دراسة

= جيفورد بالجريف William Gifford Palgrave عام ١٨٦٢م؛ كارلو جورماني Carlo Gurmani عام ١٨٦٤م؛ الليدي آن بلنت Lady Anne Blunt عام ١٨٧٩م؛ جوليوس أوتنغ Julius Euting عام ١٨٨٣م؛ وأليوس موسيل Alois Musil الذي قام بعدة زيارات لشمال الجزيرة بين عامي ١٨٩٦و ١٩١٥م. لمزيد من المعلومات المفصلة عن الرحالة الذين زاروا الجوف انظر: عبدالرحمن بن أحمد بن محمد السديري، *الجوف ـ وادي النفاخ* (الجوف: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، د. ت.)، ص ص٩٧-١٣٦.

(٩) Wallin, p.27.

(١٠) Ibid.

(١١) Lady Anne Blunt, *A Pilgrimage to Nejd* (London: Century Publishing, 1985), p.125.

(١٢) Wallin, pp..27,28.

(١٣) F.V. Winnett and W. Reed, *Ancient Records from North Arabia* (Toronto: University of Toronto Press, 1970), p.19.

للمسجد تلك التي قام بها جفري كنج Geoffery King عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، والتي تعتبر أهم دراسة ناقشت عمارة المسجد.[١٤] ناقش حمد الجاسر خلال رحلته في شمال غرب المملكة عام ١٣٨٩هـ الجوانب التاريخية المتعلقة بتاريخ بناء المسجد، واقترح أن مسجد عمر يجب أن ينسب إلى عمر بن عبدالعزيز، الخليفة الأموي،[١٥] لأن المسجد يحتوي على منارة ومحراب، وهذه من العناصر التي أدخلت على عمارة المسجد بعد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[١٦] إن نسبة المسجد إلى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لا تعتمد على دليل تاريخي، بالإضافة إلى أن خلافة عمر بن عبدالعزيز كانت قصيرة.[١٧]

المئذنة والمحراب في المسجد ربما أضيفا إلى المسجد الأول، وهذا الوضع ينطبق على مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، حيث أضيفت كثير من العناصر المعمارية في مراحل مختلفة من بنائه بما فيها المآذن والمحراب.[١٨] كذلك استمرت الكتابة عن هذا المسجد في عدد من الكتب الحديثة عن منطقة الجوف،[١٩] لكن هذه الإشارات لم تضف جديدًا، وأهم هذه الكتابات مقالة إدارة الآثار عن الحفاظ على خصائص المدينة العربية الإسلامية ـ دومة الجندل.[٢٠]

(١٤) G.R.King, "A Mosque Attributed to Umar b.al-Khattab in Dumat al-Jandal in al-Jawf, Saudi Arabia," *Journal of the Royal Asiatic Society*, 2 (1978), 109-23.

(١٥) تولى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الخلافة في شهر صفر سنة تسع وتسعين، وتوفي في شهر رجب سنة إحدى ومائة، كانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام؛ انظر: ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ٩، ص ص ١٨٤، ١٩٢.

(١٦) حمد الجاسر، *في شمال غرب الجزيرة* (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٠هـ)، ص ص١٥٠، ١٥١.

(١٧) تقع مدينة الجوف قرب بلاد الشام مركز الخلافة الأموية، مع ذلك لم تصلنا أي دلائل لإنشاءات أموية بالمنطقة. الأدلة الأثرية والكتابات التي تم حصرها في المنطقة، والتي تعود إلى العصر الأموي، تؤكد هذا الارتباط الجغرافي ببلاد الشام واستمرارية الاستيطان في المنطقة خلال العصر الأموي. انظر: Al-Muaikel, pp.155-60.

(١٨) صالح لمعي مصطفى، *المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري* (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م)، ص ص٥٢ـ٧٥.

(١٩) السديري، *الجوف*، ص ص٨٥ـ٨٧؛ عبدالرحمن بن عطا الشايع الكريع، *هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف* (الرياض: د.ن.، ١٤٠٤هـ)؛ سعد بن عبدالله الجنيدل، *بلاد الجوف أو دومة الجندل* (الرياض: دار اليمامة، ١٤٠١هـ).

(٢٠) إدارة الآثار والمتاحف، «الحفاظ على خصائص المدينة العربية الإسلامية ـ دومة الجندل،» في *المدينة العربية خصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي*، تحرير إسماعيل سراج الدين وسمير الصادق (الرياض: المعهد العربي لإنماء المدن، ١٤٠٢هـ)، ص ص٢٠٩ـ٢١٤.

أهميـــة المسجـــد وتاريخـــه

يعتـبر مسجـد عمر من المساجد التاريخية المهمة إن لم يكن من أهمها. تنبع أهمية المسجد من عدة نقاط، النقطة الأولى تخطيط المسجد الذي يمثل استمرارية لنمط تخطيط المساجد الأولى، حيث إن هذا التخطيط يشابه التخطيط الأول لمسجد الرسول ﷺ، الذي بني بالمدينة في السنة الأولى من الهجرة، ومساجد البصرة والكوفة التي بنيت على التوالي في سنتي ١٤ و١٥هـ.⁽٢١⁾ كذلـك تبرز أهمية المسجد من محافظته على نمط التخطيط والبناء القـديم الـذي استمـر خلال الفترات الإسلامية المختلفة، بالإضافة إلى كونه من أقدم المساجد التاريخية التي لم تتعرض لإعادة بناء أو توسعات كبيرة كما حدث لعدد من المساجد القـديمة في المملكة، بحيث اختفت الملامح الأساسية لهذه المساجد. تحديد تاريخ بناء المسجد من القضايا التي مازالت موضع نقاش، حيث إنه من الصعب حسم هذا الموضوع بصورة نهائية في ظل غياب الأدلة التاريخية والأثرية المؤكدة. في محاولة لتسليط الضوء على هذ الجانب قمت في عام ١٤٠٦هـ، وخلال العمل الميداني المتعلق بأطروحتي للدكتوراه، بحفـر مجس إلى الجنـوب الغـربي من المئـذنة مباشرة بسبب عدم استطاعتنا الحفر داخل المسجد.⁽٢٢⁾ كان الهدف من حفر هذ المجس هو محاولة للعثور على أدلة أثرية تساعدنا في تحديد تاريخ المسجد.

خلال الحفر ظهر لنا جدار حجري أساساته على عمق ٢,٠٥م من سطح الأرض، أساسات هذا الجدار تتناسب مع مستوى أرضية صحن المسجد الحالية. المواد الأثرية التي تعود إلى عصر ما قبل الإسلام عثر عليها في الطبقات الواقعة تحت مستوى الجدار الحجري، هذا أكد لنا أن الجدار يعود إلى فترة إسلامية.⁽٢٣⁾ عدم عثورنا على مواد تعود إلى عصور تسبق

---

(٢١) شيد مسجد البصرة في سنة ١٤هـ الموافق ٦٣٥م؛ أما مسجد الكوفة، فقد شيد سنة ١٥هـ الموافق ٦٣٦م؛ انظر: K.A.C. Creswell, *A Short Account of Early Muslim Architecture* (Beirut: Librairie du Liban, 1968, pp. 3-5,9; Dogan Kuban, *Muslim religious architecture*, part I, Iconography of religions XXII,2 (Leiden: E.J.Brill, 1974), pp.1,2,12,13.

(٢٢) كان من الصعب الحفر داخل المسجد لعدة أسباب من أهمها أن المسجد مازال مستخدمًا للصلاة، بالإضافة إلى أن عملاً من هذا النوع يتطلب موافقة وزارة الحج والأوقاف إلى جانب موافقة إدارة الآثار والمتاحف، واختصارًا للوقت فضلت في تلك المرحلة الاكتفاء بالحفر خارج المسجد.

(٢٣) Al-Muaikel, pp. 96-100.

الإسلام في الطبقات التي تعلو أساسات الجدار الحجري، وبالتالي تقع في مستوى أعلى من أرضية صحن المسجد، يؤكد لنا أن المئذنة شيدت خلال العصر الإسلامي المبكر. وقد اقترح فالين أن مسجد عمر كان عبارة عن مبنى قديم حوّله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى مسجد، لذا أرخ المئذنة إلى عصر ما قبل الإسلام وأضاف أن المئذنة ربما كانت برجًا لكنيسة.[٢٤] وقد نحا جفري كنج في دراسته الأولى للمسجد،[٢٥] المنحى نفسه في تأريخ المئذنة، لكنه عاد وصحح هذا الرأي في كتابه الأخير، واقترح أن المئذنة تعود إلى فترة مختلفة عن فترة المبنى الحالي، وربما كانت تعود إلى فترة أساسات المسجد.[٢٦] في نهاية دهليز المدخل لاحظنا وجود دعامة حجرية، أو جزء من جدار، تختلف عن باقي دعامات المسجد من حيث طريقة البناء ونوعية الأحجار المهذبة التي استخدمت في بنائها. تشابه طريقة بناء هذه الدعامة الأجزاء السفلية من جدار قلعة مارد الجنوبي، والذي يعود إلى العصر النبطي.[٢٧] ربما كانت الدعامة جزءًا من مبنى قديم كان قائمًا في موقع المسجد. الأدلة الأثرية التي تم الكشف عنها في الطبقات السفلى من المجس الذي حفر بالقرب من المئذنة تؤكد استيطان هذا الجزء من البلدة خلال عصور ما قبل الإسلام.[٢٨] إن تحديد تاريخ دقيق لبناء المسجد يصعب تحقيقه في غياب الأدلة المكتوبة، لكن تحديد تاريخ تقريبي ممكن من خلال الحفر داخل حرم المسجد وفي بعض الأجزاء الخارجية. هذا لا ينفي أهمية المسجد ونسبته إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بل إن المسجد يعتبر من أهم المساجد التاريخية القائمة على أراضي المملكة العربية السعودية.

تخطيط المسجد

مسجد عمر ذو مسقط مستطيل الشكل تقريبًا (شكل رقم ١، لوحة رقم ١) طوله من الغرب إلى الشرق يبلغ ٣٢,٥م، وعرضه من الجنوب إلى الشمال ١٨م. يتكون المسجد

---

(٢٤) Wallin, pp.27,28.

(٢٥) King, p. 122.

(٢٦) G.R.King, *The Historical Mosques of Saudi Arabia* (London and New York: Longman, 1986), p.118.

(٢٧) Al-Muaikel, p.110.

(٢٨) Ibid. pp.96-100.

من رواق القبلة، والذي يحتل حوالي ثلثي مساحة المسجد. يمتد صحن المسجد موازيًا لرواق القبلة من الجهة الشمالية؛ في الجزء الشمالي من الصحن وملاصق لجدار المسجد الشمالي يوجد مصلى صغير ذو محراب دائري (لوحة ٩). أما مئذنة المسجد، فتقع ملاصقة لزاوية المسجد الجنوبية الغربية وتبرز عن مستوى جدار القبلة.

رواق القبلـــــة

يحتل رواق القبلة ثلثي مساحة المسجد ويمثل الجزء المغطى من المسجد. يمتد بطول جدار القبلة ٣٢,٥م وبعرض ١٠,٢م. يحمل سقف هذا الرواق ثلاثة صفوف من الدعامات الحجرية موازية لجدار القبلة. يتكون الصف الأول القريب من جدار القبلة من عشر دعامات بينما يتكون الصف الثاني أو الأوسط من تسع دعامات، لأن الدعامة الثالثة من جهة الشرق ملتحمة مع الدعامة الرابعة. الصفان الأول والثاني يبرزان إلى جهة الشرق بمسافة أطول من مستوى امتداد الصحن والصف الثالث من الدعامات، حيث يبلغ طول امتداد الصفين الأول والثاني ٣٢,٥م، بينما الصف الثالث يبلغ طوله ٢١٩,١م². لذا فالصف الثالث يتكون من تسع دعامات فقط (شكل رقم١)، يختلف الصف الثالث من الدعامات عن الصفين الأماميين فبينما استخدمت الحجارة فوق الطنف الحجرية بالنسبة للصفين الأماميين، نجد أن الأخشاب استخدمت بدلاً من الحجارة هنا (اللوحتان رقما ٦، ٧). إن وضع الصف الثالث من الأعمدة، والذي بني على امتداد الصحن، نظرًا لأن الصفين الأماميين يمتدان إلى جهة الشرق لمسافة أطول، فإن هذا ربما يشير إلى أن الصف الثالث قد تعرض للترميم والإصلاح في مرحلة لاحقة مع الرواق الواقع في الصحن (المصلى الصغير.) وربما تم ترميم وتجديد المسجد خلال الحكم السعودي في عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م.[٢٩] تتكون الدعامات الحجرية من الأحجار والمونة الطينية، بحيث يشكل مقطع الدعامة شكلاً مستطيلاً يزداد سماكة في الأجزاء التي استخدمت لحمل السواكف الحجرية والخشبية التي تعلو على هذه الدعامات (لوحة رقم ٧). تراوح ارتفاع الدعامات بين ٣ و٥ و٣م، كما تنتشر على طول واجهة جدار القبلة تجاويف مربعة استخدمت لحفظ المصاحف والكتب الدينية. أما الواجهات الداخلية لجدران رواق القبلة،

(٢٩) Wallin, p.27; King, *Historical Mosques*, p.120.

فقد غطيت بطبقة من اللياسة الطينية، والأجزاء السفلية من هذه اللياسة طليت باستخدام الجص. غطت التغطيات الجصية والطينية الواجهات الداخلية للجدران وحجبت طريقة بناء هذه الجدران والمواد المستخدمة، لكن بعض أجزاء الدعامات التي زالت طبقة اللياسة عنها أظهرت لنا طريقة البناء ونوعية المواد المستخدمة.

المحـــراب والمنبـــر

يتـوسط جدار القبلة حنيتـان متشـابهتـان تمثـلان المحراب والمنبر (لوحة رقم ٧). المحراب الواقع على يسار المنبر أكبر حجمًا من المنبر، فاتساع فتحته ٨٠سم وعمقه ١,١٥م بينـما المنبر اتساعه ٦٥سم وعمقه ١م. كلا المحراب والمنبر يعلوهما عقد مثلث تكون من كمرتين حجريتين مستندتين على بعضهما البعض بزاوية ٦٠ درجة (لوحة رقم ٧). يتكون المنبر من درجتين وجلسة ويتصل بالمحراب عن طريق فتحة مستطيلة في الجدار الفاصل بينهما. هذا وتبرز كتلة المحراب والمنبر عن جدار القبلة من الخارج مشكِّلة كتلة حجرية ذات مقطع غير منتظم. المحراب والمنبر من العناصر المعمارية التي أضيفت إلى المسجد الأول كما أشار حمد الجاسر.[٣٠] ليس لدينا أدلة على وجود محراب في مسجد الرسول ﷺ قبل العصر الأموي؛ ذكر السمهودي أن المسجد الشريف لم يكن له محراب في عهد الرسول ﷺ ولا في عهـد الخلفـاء الـراشـدين، وأن أول من أحـدثـه عمر بن عبدالعزيز في عمارة الوليد بن عبدالملك.[٣١] أما المنبر، فقد استخدمه الرسول ﷺ في مسجده خلال المرحلة المتأخرة من حياتـه ﷺ.[٣٢] يرتبط تاريخ المحراب والمنبر بشكل مباشر مع الجزء القديم من المسجد (الصفين الأول والثاني) وليس له علاقة بالتوسعة والترميم خلال العهد السعودي كما اقترح كنج،[٣٣] لأن أشكال المحاريب التي ارتبطت بتلك المرحلة ذات مقطع نصف دائري ويبرز عن مستوى جدار القبلة باستدارة واضحة، كما هو الحال بالنسبة لمحراب الرواق الواقع في شمال الصحن وفي كثير من مساجد المنطقة التقليدية.

(٣٠) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ص١٥٠-١٥١.

(٣١) نور الدين علي بن أحمد السمهودي، *وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى*، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ)، جـ١، ص٣٧.

(٣٢) Kuban, pp.3, 4, 5.

(٣٣) King, "Mosque of Umar," p.120.

صحـــن المسجـــد

يمتد صحن المسجد موازيًا لرواق القبلة من جهة الشمال. مساحة الصحن مستطيلة الشكل طوله من الغرب إلى الشرق يبلغ ٣٠,٩م وعرضه من الجنوب إلى الشمال ٨,٤م. المساحة صغيرة قياسًا بحجم رواق القبلة، ربما كان السبب في ضيق المساحة هو مساحة الأرض التي بنى المسجد عليها. أرضية الصحن غير مبلطة وهي عبارة عن أرضية طينية مرصوصة. يفتح رواق القبلة على الصحن بواجهته الشمالية بسلسلة من الدعامات الحجرية التي تعلوها سواكف خشبية. يؤدي دهليز المدخل الموازي لرواق القبلة من الغرب إلى صحن المسجد مباشرة (لوحة رقم ٨). جزء كبير من مساحة الصحن يشغلها مصلى صغير (الرواق الشمالي) الذي بني ملاصقًا لجدار الصحن الشمالي (لوحة رقم ٩)؛ تبلغ مساحة هذا المصلى ١٨,٥ × ٢,٥م، ويرتفع سقفه فقط بـ ١,٥م، يحتوي هذا المصلى على محراب مستدير يبرز عن مستوى امتداد جدار القبلة. يتضح من بناء هذا المصلى أن المحراب أضيف بعد بناء المصلى. في زاوية الصحن الشمالية الغربية، وفي نهاية الرواق يوجد درج حجري يؤدي إلى سقف الرواق الذي استخدم للصلاة، خاصة في أيام الشتاء. إن الغرض الذي بني من أجله المصلى يتضح من خلال تتبع أنماط المساجد المحلية التي تحتوي على رواق إضافي كان يستخدم كمصلى شتوي، وكذلك كمصلى للنساء في شهر رمضان.[٣٤]

المئذنـــــة

تقع المئذنة في الركن الجنوبي الغربي للمسجد وهي بارزة عن مستوى جدار القبلة. قاعدة المئذنة مربعة الشكل، طول ضلعها ٣م وجدرانها الحجرية تضيق إلى الداخل كلما ارتفعت إلى الأعلى حتي تنتهي بقمة شبه مخروطية (لوحة رقم ٢). ويبلغ ارتفاع المئذنة الحالي ١٢,٧م، وقد بنيت المئذنة بكاملها من الحجارة الصلدة. تتكون المئذنة من خمسة مستويات، المستوى الأرضي والذي يمثل قاعدة المئذنة يتكون من بناء حجري يخترقه من المنتصف ممر ضيق يؤدي إلى مدخل المنطقة السكنية غربًا. إن طريقة بناء قاعدة المئذنة تشابه طريقة بناء الدعامات الحجرية في رواق القبلة، حيث نجد أن جدران قاعدة المئذنة يعلوها

(٣٤) مشاهدات شخصية في عدد كبير من المساجد المحلية بمنطقة الجوف يظهر فيها هذا النمط من التخطيط.

طنف حجرية استخدمت لحمل ألواح حجرية طويلة ارتكزت عليها المستويات العليا للمئذنة[٣٥] (لوحة رقم ٣).

يقع المدخل المؤدي إلى المستويات العليا في واجهة المئذنة الشرقية ويرتفع عن أرضية المسجد بـ ٣,٥م؛ يؤدي إلى هذا المدخل درج يتفرع عن الدرج المؤدي إلى سقف رواق القبلة. مدخل المئذنة ارتفاعه ١,٥م وعرضه ٥٨م. المستوى الأول للمئذنة مربع الشكل مساحته من الداخل ١,٧ متر مربع في الجدار الشمالي والجنوبي لهذا المستوى نافذتان صغيرتان (٥٠ × ٣٨سم) بالإضافة إلى فتحة المدخل. إلى يمين المدخل سلم حجري حلزوني ملاصق للجدارين الشمالي والغربي؛ يؤدي هذا السلم إلى المستوى الثاني الذي يمثل حيزًا مربعًا. إن أرضية هذا المستوى عبارة عن ألواح حجرية محمولة على طنف حجرية تبرز من الجدران الداخلية للمئذنة. تفتح في كل جدار من جدران المستوى الثاني الأربعة فتحة واحدة مستطيلة مساحتها ١٢ × ٤٥سم. السلم الحجري الحلزوني يتوقف عند هذا المستوى؛ أما المستويان العلويان (الثالث والرابع) فيوصل إليهما عن طريق سلسلة من الأحجار التي تبرز من جدار المئذنة الداخلي، وليس كما اعتقد كنج[٣٦] من أن السلم العلوي وأرضيات المستويات العليا مهدمة، بل إن تصميم المئذنة الأول هو الذي مازال قائمًا، لأن حيز المستويات العليا لا يتسع للسلم الحجري والأرضية الحجرية معًا. المستويان الثالث والرابع يتشابهان مع المستوى الثاني، حيث إن كلًا منها يحتوي على أربع فتحات جانبية تتوزع على الجدران الأربعة.

الغرض الأساسي من هذه الفتحات الجانبية كان غرضًا إنشائيًّا بحتًا، حيث صممت هذه الفتحات لتخفيف ضغط الهواء على بدن المئذنة؛ كذلك كان لها وظيفة توزيع صوت

(٣٥) هذا النمط من البناء يظهر في مدخل قلعة مارد المجاورة وكذلك ظهر بصورة واضحة في عمارة الحي السكني القديم المجاور؛ انظر: Al-Muaikel, pp.114, 136. كذلك ظهر استخدام طنف الحجر بشكل واسع في منطقة حوران من بلاد الشام؛ انظر: Bert Devries, "Research at Umm al-Jimal, Jordan, 1972-1977," *Biblical Archaeologist*, 42 (1979), 49-55; idem., "The Umm al-jimal Project 1972-1977," *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, 244 (1981), 53-72.

(٣٦) King, "Mosque of Umar," p.121.

المؤذن أثناء الأذان في كل الاتجاهات، وكذلك كان لها وظيفة ثالثة وهي إضاءة الجزء الداخلي من المئذنة. هذه المئذنة تمثل نمطًا مستقلاً وليس لها مقارنات مماثلة؛ لذلك فهي تمثل طرازًا مميزًا، ولا نشك في أن هذه المئذنة ربما تأثرت بالمآذن السورية المربعة لكنها نفذت بأسلوب محلي.[٣٧] من الصعب ربط هذه المئذنة ببناء سابق للإسلام كما أشار فالين،[٣٨] لأن تصميم المئذنة وارتباطها بسلم حجري من الداخل يؤكد ارتباطها المباشر بالمسجد. أما وضع المئذنة الذي يبرز عن مستوى جدار القبلة والممر الضيق الذي يخترق بدنها، فهذه من الأدلة التي تؤكد أن المئذنة قد بنيت خلال الفترة الإسلامية المبكرة عندما كانت المنطقة السكنية قائمة، مما دفع البنَّاء إلى إقامة المئذنة في الشارع الموازي للمسجد من الخارج، وبالتالي عقدت قاعدة المئذنة لكي تسمح بحرية الحركة للمارة. وإن عدم بناء المئذنة في مؤخرة المسجد (كما هو متبع في معظم المساجد الإسلامية) كان بسبب ملاصقة المسجد للمساكن من الجهة الشمالية.

المداخـــل والأدراج

يقع المدخل الرئيس للمسجد مباشرة إلى الشمال الغربي من المئذنة وملاصقًا لها. يؤدي المدخل إلى دهليز مكشوف وهذا بدوره يؤدي إلى رواق القبلة وصحن المسجد. إلى الجنوب الشرقي من المئذنة يوجد مدخل صغير غير مستخدم حاليًا كان يؤدي من أسفل الدرج وإلى الدهليز، ومن ثم إلى رواق القبلة والصحن. ومن المحتمل أن يكون هذا المدخل هو المدخل الرئيس للمسجد قبل استحداث المدخل الحالي بسبب وضع الدرج المتساقط، ولخطورة هذا على المصلين استحدث المدخل الحالي وأغلق المدخل الذي يصل إلى أسفل الدرج. يقع الدرج الرئيس للمسجد ملاصقًا للجدار الغربي لرواق القبلة ويشغل حيزًا من دهليز المدخل. هذا الدرج بني باستخدام حجارة كبيرة بالإضافة إلى استخدام

(٣٧) النموذج المربع للمئذنة يمثل أقدم نماذج المآذن التي ظهرت في بدايتها في جامع دمشق وكذلك في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، ومن ثم انتشرت المآذن المربعة في بلاد الشام، مثل مئذنة جامع عمر ببصرى ومئذنة المسجد الأموي بحلب. ومن بلاد الشام يُعتَقد أن المئذنة المربعة انتقلت إلى المغرب الإسلامي والتي أصبحت سمة من سمات المساجد هناك؛ انظر: فريد شافعي، *العمارة العربية في مصر الإسلامية* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م)، ص ص٦٣٥-٦٤٨.

(٣٨) Wallin, pp.27, 28.

أخشاب الأثل لحمل الجزء العلوي من الدرج والدرج المتفرع عنه الذي يؤدي إلى مدخل المئذنة. يؤدي الدرج إلى سقف رواق القبلة. بالإضافة إلى هذا يوجد درج آخر في الركن الشمالي الغربي من صحن المسجد ملاصق للمصلى الصغير من الغرب، وهذا بدوره يؤدي إلى سقف المصلى الصغير.

العناصـــر المعماريـــة

من الملاحظ أن جميع العناصر التي ظهرت في هذا المسجد هي عناصر إنشائية ولم يظهر أي عنصر زخرفي، وهذا يمثل جانبًا مهمًا في دراسة هذا المسجد الذي تميز بالبساطة والذي يذكرنا بالمساجد الإسلامية الأولى.

التغطيـــات

استخدم في تغطيات المسجد السقف المستوى الذي يتكون من خشب الأثل الذي يعلوه سعف النخيل والذي غطي بطبقة طينية خضراء. هذا النمط من التسقيف هو النمط السائد في العمارة المحلية بمنطقة الجوف ووسط الجزيرة العربية. من المؤكد أن سقف المسجد قد تعرض لعدة مراحل من الترميم وإعادة البناء لأن السقف أكثر أجزاء المبنى تعرضًا للظروف الطبيعية؛ لذا فإن السقف يحتاج إلى صيانة وعناية دائمة.

الدعامـــات الحجريـــة

استخدمت الدعامات الحجرية على نطاق واسع في هذا المسجد، حيث إن سقف رواق القبلة حملته **٢٩** دعامة بالإضافة إلى الدعامة الواقعة في نهاية دهليز المدخل. بنيت الدعامات باستخدام الأحجار غير المهذبة، ما عدا الدعامة الواقعة في نهاية دهليز المدخل والتي استخدم في بنائها أحجار مهذبة (لوحة رقم ٨). استخدمت المونة الطينية في بناء الدعامات. إن مقطع الدعامات يأخذ الشكل المستطيل ويتراوح ارتفاعها بين **٣** و**٣,٥**م تبرز في نهاية الدعامة العلوية طنف حجرية استخدمت لحمل السواكف الحجرية أو الخشبية التي تعلوها. غطيت جميع الدعامات بطبقة من اللياسة الطينية وطليت أجزاؤها السفلية بالجص (لوحة رقم ٧). والمهم أن الدعامات تحمل فوقها جسورًا (حجرية) تمتد طوليًا لتقوم بحمل السقف الخشبي، حيث لا يوجد نظام للأقواس الحاملة في هذا المسجد. وبطبيعة

الحـال فإن جميع الـواجهات الداخلية، سواء للدعامات أو للجسور المشار إليها، كانت مليسة بطبقة من الطين والكلس.

الطنـــف الحجريـــة

الطنف الحجرية هي عبارة عن أحجار تبرز عن مستوى جدار الدعامة أو المدخل، واستخدمت عوضًا عن العقد لتضييق المسافة المحصورة بين جدارين أو دعامتين بحيث تحمل لوحًا حجريًا مستطيلاً أو أخشاب (اللوحتان رقما ٦، ٧). استخدمت الطنف كذلك في ربط الـدعامات بعضها ببعض وكذلك في تغطية الممر الذي يخترق جسم المئذنة. لم يقتصر استخدام هذا العنصر على مسجد عمر فقط، بل استخدم في قلعة مارد وفي الحي السكني القديم المجاور على نطاق واسع.(٣٩) كذلك استخدمت في منطقة حوران جنوبي بلاد الشام، حيث تتشابه في بعض أنماط العمارة مع دومة الجندل.(٤٠)

العقـــود المثلثـــة

انحصر استخدام العقود المثلثة في مسجد عمر في محراب ومنبر المسجد حيث يعلوهما عقـدان مثلثـان تشكـلا بواسـطة استخدام لوحين حجريين يستندان إلى بعضهما بحيث يشكلان عقدًا مثلثا بلغت زاويته ٦٠ درجة.

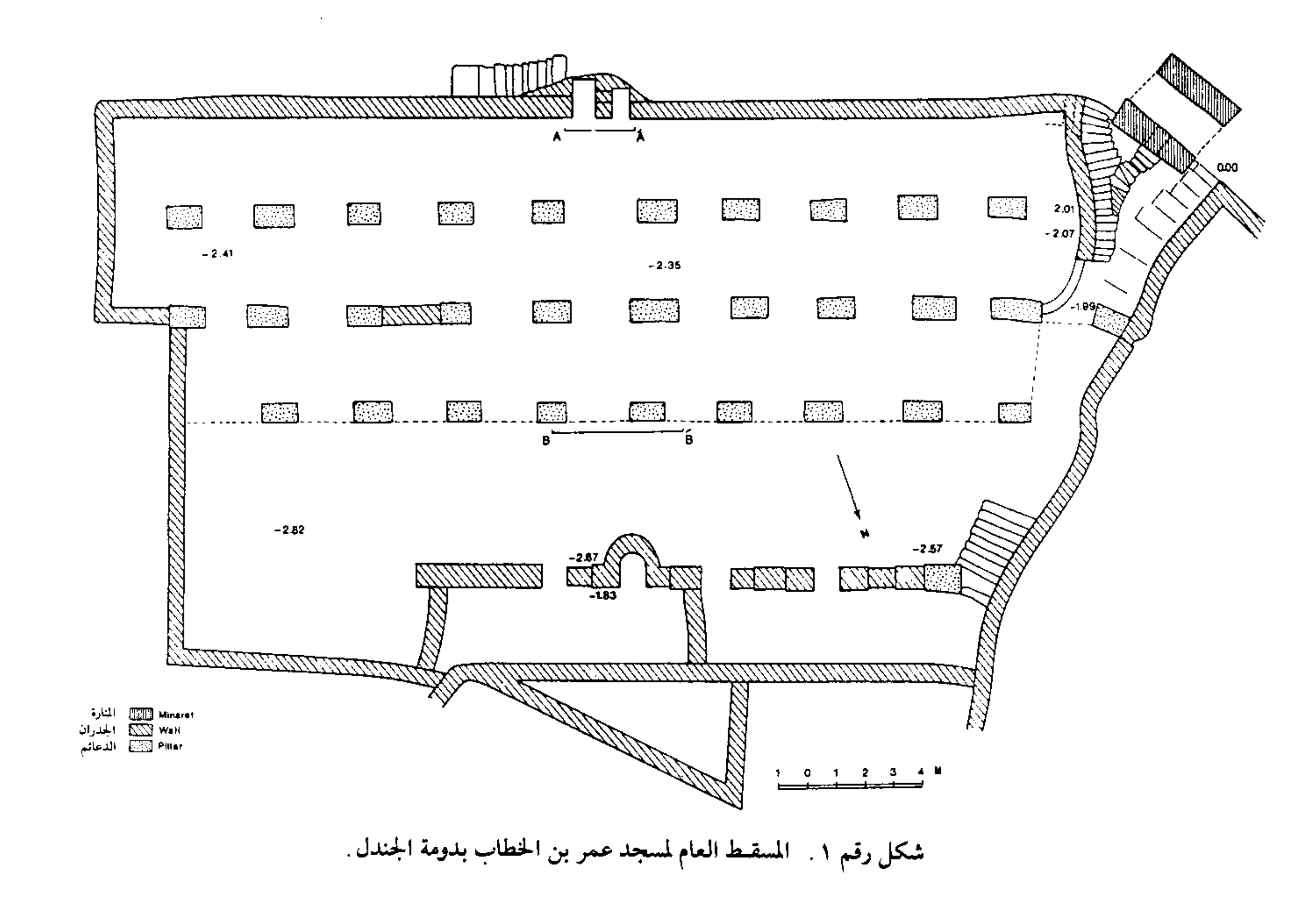
مـــواد البنـــاء

شيد المسجـد بكـامله باستخـدام الأحجار المحلية المجلوبة من المحاجر القريبة. استخدم في بناء المسجد والمئذنة أحجار غير مهذبة، كما استخدمت الأحجار الكبيرة شبه المهذبة في الأجزاء السفلية من المئذنة والدرج الرئيس لم يظهر استخدام الطوب (اللبن) في بناء المسجد، لكن الطين استخدم في عملية البناء وفي تغطية الواجهات الداخلية للمسجد والدعامات. أما الجص، فقد استخدم في طلي الأجزاء السفلية من جدران رواق القبلة. استخدمت الأخشاب في عملية التسقيف وتمثلت بأخشاب الأثل بالإضافة إلى سعف النخيل.

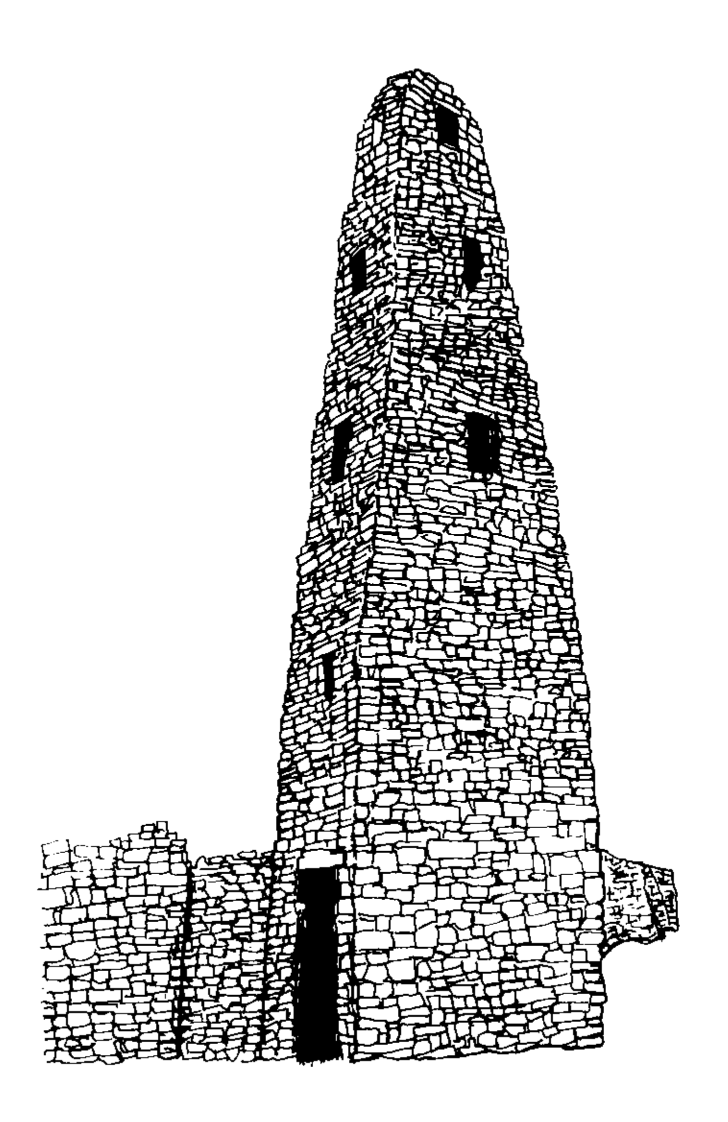
---

(٣٩) Al-Muaikel, pp.114, 136.

(٤٠) يظهـر ذلـك من خلال استخدام الأحجار كمادة أساسية في البناء، حيث ظهر استخدام بعض العنـاصر مثل العقود والطنف الحجرية والسلالم المعلقة، ويظهر ذلك بشكل واضح في عمارة أم الجمال في شرق الأردن؛ انظر: Devries, "Research," 49-55; *idem.*, "Umm al-Jimal Project," 53-72.



شكل رقم ١ . المسقط العام لمسجد عمر بن الخطاب بدومة الجندل.



(مقياس الرسم ١ : ١٠٠)

شكل رقم ٢ . رسم توضيحي لمئذنة المسجد.



لوحة رقم ١. منظر عام لمسجد عمر بن الخطاب والمنطقة المحيطة به.



لوحة رقم ٢. مئذنة مسجد عمر بن الخطاب.



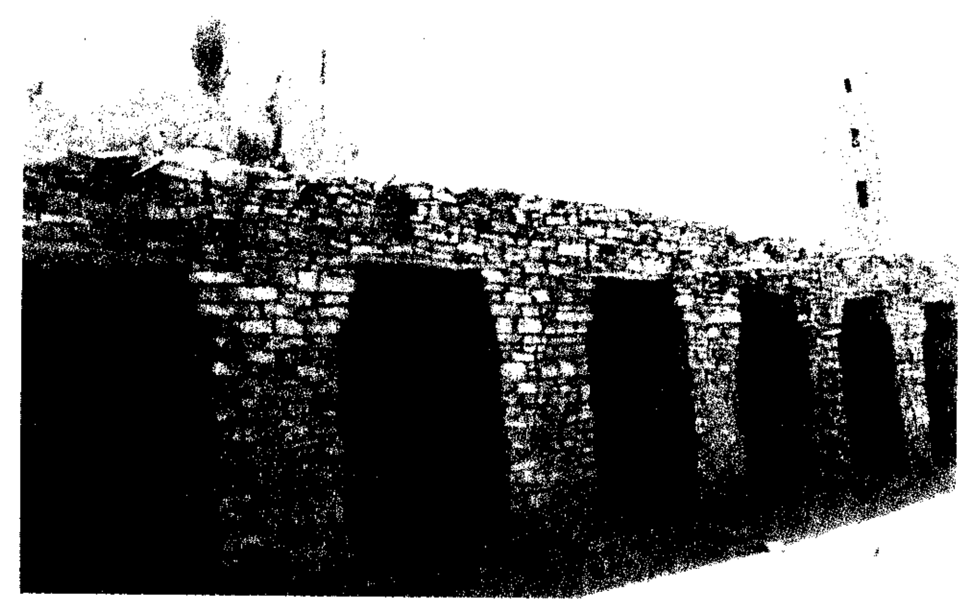
لوحة رقم ٠٣ قاعدة المئذنة ويظهر استخدام الطنف الحجرية التي تعلوها الألواح الحجرية الكبيرة.



لوحة رقم ٤. جدار القبلة ويظهر الصف الأول من الدعامات الموازي للجدار.



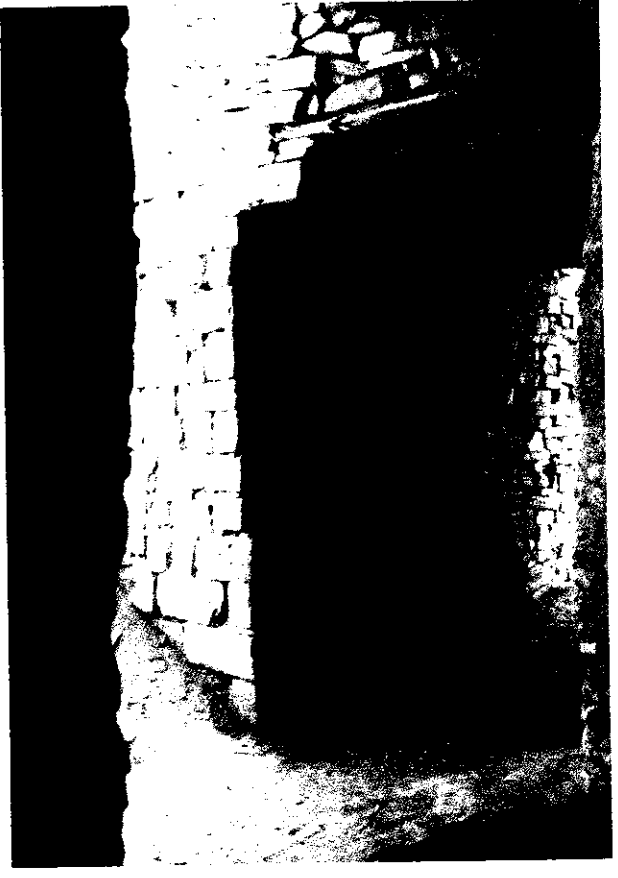
لوحة رقم ٥. رواق القبلة ويظهر الصفان الأول والثاني من الدعامات.



لوحة رقم ٦. رواق القبلة المطل على الصحن ويظهر استخدام أخشاب الأثل فوق الطنف الحجرية.



لوحة رقم ٧. الدعامات الحجرية التي في أعلاها طنف حجرية استخدمت لحمل السواكف الحجرية، ويظهر في خلفية الصورة محراب ومنبر المسجد اللذان يعلوهما قوسان مثلثان.



لوحة رقم ٨. الدعامة الواقعة في نهاية دهليز المدخل والتي تختلف عن باقي الدعامات الأخرى.



لوحة رقم ٩. الرواق الشمالي (المصلى الصغير) الملاصق لجدار المسجد الشمالي.

The Mosque of Umar b. al-Khattab at Dumat al-Jandal

Khaleel I. Al-Muaikel
Assistant Professor, Department of Archaeology,
College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. This study deals with the mosque of Umar b. al-Khattab at Dumat al-Jandal which is one of the important historical mosques in Saudi Arabia. The importance of this mosque is evident from its plan which reminds us of the architecture of early mosques. Secondly, the square minaret is of a unique type influenced by Syrian square minarets. Further, its historical importance is due to its association with Umar b. al-Khattab, the second Caliph. This study is important for the study of early mosques of Arabia.